من معلقة لبيد بن ربيعة العامرى
بحث تاريخى تحليلى وموازنة

د٠ محمد أحمد التابعى

- ١ -

هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامرى (١) ، وكان يقال لأبيه ربيع المقترين ، وفى ذلك يقول لبيد :

ولا من ربيع المقترين رزئته بذى علق فاعنى حياءك واصبرى (٢)

وقد قتل فى يوم ذى علق ، قتله بنو أسد ، ولم يكن لبيد قد تجاوز سن الطفولة ، ثم أصبح بعد ذلك فى كفالة أعمامه التى أشار اليها فى قوله:

لعبت على أكتافهم وحجورهم وليدا وسمونى لبيدا وعاصما

ومن أعمامه ملاعب الأسنة ، واسمه « عامر بن مالك » وسمى ملاعب الأسنة ، لقول أوس بن حجر :

ولاعب أطراف الأسنة عامر فراح له خط الكتيبة أجمع (٣)

أما أمه فهى «تامر بنت زنباع» من عبس ، تزوجها أولا قيس بن جزء ابن خالد بن جعفر فولدت له أربد ، ثم خلفه عليها ربيعة فولدت

---

(١) الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء : أبو محمد بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، تحقيق د٠ مفيد قميحة ونعيم زرزور ، ص١٦٧ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ٠ دار الكتب العلمية بيروت ٠

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامرى ص ٦٨ ، دار صادر بيروت ٠

(٣) الشعر والشعراء : أبو محمد بن مسلم بن قتيبة الدينورى ص ١٦٩ ٠

لبيدا (٤) ، أما أم البنين الأربعة التى افتخر بها لبيد فى أرجوزة له بقوله :

« نحن بنو أم البنين الأربعة » (٥)

فهى ليلى بنت عمرو بن عامر فارس الضحياء ، تزوجها مالك بن جعفر ، فولدت خمسة من الأبناء لا أربعة ، كما يقول لبيد : « وهم عامر بن مالك ، ملاعب الأسنة ، والطفيل فارس قرزل ، وسلمى نزال المضيق، ومعاوية معوذ الحكماء ، وربيعة الذى عرف بلقب ربيعة المقترين ، وهو والد لبيد الذى يفتخر به فى شعره » (٦) .

ولا نستطيع أن نحدد تاريخ مولده تحديدا دقيقا ، ولكن اذا تاملنا البيت

« وغنيت سبتا قبل مجرى داحس » (٧)

وقد عرفنا أن حرب داحس ثارت حوالى منتصف القرن السادس ، فان مولد لبيد كان فى حدود ٥٤٥ م أو أكثر أو أقل .

نشأ لبيد محبا للشعر يملك عليه لبه فكان غذاءه لا يقتات الا به ، وكان الفخر صناعة لبيد ، وسلاحه المدافع به عن قبيلته وعن نفسه ، والرواة يحدثوننا عن مقامه فى النضال فى مواطن مختلفة ، فهم يزعمون لنا أنه قد بدأ حياته الشعرية بهذا النضال فى موقف له مع قومه ، يدافع عنهم ضد الربيع بن زياد العبسى لدى النعمان بن المنذر ، وكان الربيع

---

(٤) مقدمة الديوان ص ٥ .
(٥) الديوان ص ٥ .
(٦) المقدمة الديوان ص ٥ .
(٧) الديوان ص ٤٦ : سبتا : دهرا .

ابن زياد كثيرا ما يؤلب النعمان بن المنذر على قومه لعداوة حرب كانت بين قوم لبيد،وقوم ربيع بن زياد العبسيين،وذات يوم ذهب العامريون الى النعمان ابن المنذر وبصحبتهم لبيد وكان مازال فتى غرا حديثا يحرس متاعهم،فوجدوا اعراضا من النعمان وهذه ليست عادته،وكان سببه تاليب الربيع بن زياد العبسى على قوم لبيد لعداوة بينه وبين قوم لبيد ، فخرجوا من عند النعمان متألمين من صدوده عنهم وتدور فى نفوسهم الشكوك حتى عرفوا أن مصدر هذا الاعراض ، وذاك الصدود هو الربيع ابن زياد الذى كان من ندماء المنذر ومن المقربين اليه ، فبيتوا للربيع الأمر ، وأخذوا يتشاورون كيف ينتقمون منه؟ وكان الفتى لبيد هو الحارس لمتاعهم يسمع لهم ، ولا يفهم منهم ، فلما طال عليه ذلك سالهم أن يبينوا له جلية الأمر ، فاعرضوا عنه ، واعتلوا عليه ، فألح عليهم ، ومازال يلح حتى قصوا عليه قصتهم ، فقال لهم : انا اكفيكم الربيع بن زياد ، فاذا أصبحتم فاصحبونى الى مجلس الملك فأرجز رجزا محضا لا يلتفت اليه النعمان بعده أبدا ، فارتابوا منه اولا فى هذا الأمر ، ثم ارادوا أن يقطعوا الشك باليقين ، فقالوا انا نبلوك بشتم هذه البقلة ، وقدامهم بقلة دقيقة القضبان ، قليلة الورق ، لاصقة فروعها بالأرض تدعى التربة فاقتلعها من الأرض وأخذها بيده وقال : هذه التربة النقلة الرذلة التى لا تذكى نارا ، ولا تسر جارا ، عودها ضئيل ، وفرعها ذليل ، وخيرها قليل ، بلدها شاسع ، ونبتها خاشع ، والمقيم عليها قانع : أقصر البقول فرعا وأخبثها مرعا ، وأشدها قلعا (٨) ، فلما نجح لبيد فى اختباره صحبوه الى النعمان وكان واسطة العقد بينهم ، ولما دخلوا عليه وجدوه يتغدى مع خصمهم الربيع بن زياد ، وليس معه غيره فى الدار ، والمجالس مملوءة بالوفود ، فلما فرغ من الغداء سالهم عن

---

(٨) كتاب الأغانى : ابى الفرج الأصبهانى ص ٩١ ج ١٤ - بيروت لبنان .

حاجتهم ، فذكروها للنعمان ، فاعترضهم الربيع فى كلامهم ، فقام لبيد « وقد دهن احدى شقى رأسه ، وأرخى مئزره ، وانتعل نعلا واحدة، وكذلك كانت الشعراء تفعل فى الجاهلية اذا أرادت الهجاء » (٩) فمثل بين يديه ثم قال هذا الرجز :

فى كل يوم هامتى مفزعه
قانعة ولم تكن مقنعه
نحن بنو أم البنين الأربعة
ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعون الجفنة المدعدعه
والضاربون الهام تحت الخيضعه
مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه
ان استه من برص ملمعه
وانه يدخل فيها اصبعه
يدخلها حتى يوارى أشجعه
كأنما يطلب شيئا ضيعه (١٠)

« فلما فرغ لبيد التفت النعمان الى الربيع يرمقه شذرا ، وقال كذلك أنت ياربيع » (١١) ، ومنذ ذلك اليوم أصبح للعامريين منزلة كبيرة لدى النعمان وسقط الربيع من عين النعمان سقطة ما بعدها سقطة،

---

(٩) المرجع نفسه .
(١٠) الديوان ص ٩٣ ، ٩٤
(١١) شرح المعلقات العشر واخبار شعرائها : أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٦٨ ، دار الكتاب العربى - ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م . تقديم الدكتور فايز ترحيبى .

وأصبح بعد ذلك ينفر منه ، ويشمئز من مجلسه ، ثم أمره بأن يلحق بأهله ، فكتب اليه الربيع : « لئن قد عرفت أنه وقر فى صدرك ما قال لبيد : ولست برائم (١٢) حتى تبعث الي من يجردنى ، فيعلم من حضرك من الناس أنى لست كما قال » (١٣) فأرسل انك صادق ، لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد شيئا ولا قادرا على ما زلت به الألسن فالحق بأهلك فلحق بأهله ، وارسل الى النعمان بأبيات قالها :

« لئن رحلت جمالى لا الى سعة
لا مثلها سعة عرضا ولا طولا
بحيث لو وزنت لخم بأجمعها
ما وازنت ريشا من ريش سمويلا
ترى الروائم أحرار البقول بها
لا مثل رعيكم ملحا وغسويلا
فابرق بأرضك بعدى واخل متكئا
مع النطاسى طورا أو ابن توفيلا (١٤)

فأجابه النعمان بأبيات على رويها ووزنها (١٥) :

شرد برحلك عنى حيث شئت ولا
تكثر على ودع عنك الأباطيلا

---

(١٢) رام المكان يريمه : برحه وزايله .
(١٣) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى ص ٥٠٨ تحقيق عبد السلام هارون ط ٣ دار المعارف بمصر .
(١٤) المرجع السابق ص : ٥٠٩ ، السمويل : طائر ، ويقال بلدة كثيرة الطير ، والروائم : الابل العواطف على أولادها ، والغسويل شجر ينبت فى السباخ .
(١٥) الأبيات من بحر البسيط والروى اللام .

فقد ذكـــرت به والركب حامـــــله
ما جاور الغيل أهل الشـام والنيـلا (١٦)
فمـا انتفـــاؤك منـــه بعدمـــا جزعت
هـوج المطى بـه أبـراق شـــمليلا (١٧)
قد قيـــل ذلك ان حقـــا وان كذبـــا
فمـا اعتـــذارك مـن شيء اذا قيـــلا
فالحق بحيث رأيت الأرض واسـعة
فانشر بها الطرف ان عرضا وان طولا (١٨)

وقد ظلت هذه الحادثة يفتخر بها قومه فرفعت من شأنهم ، وأعلت من مكانهم بين القبائل ، كما افتخر بها لبيد فى معلقته حيث قال :

وكثيرة غربـــاؤها مجهولـة ترجى نوافلهـا ويخشى ذامها
غلب تشذر بالذحـول كأنها جن البـدى رواسـيا أقدامها
أنكـرت باطلها وبؤت بحقها يوما ولم يفخرعلىكرامها(١٩)

كما افتخر بها فى قول آخر :

وسقت ربيعـــا بالفنـاء كـأنه قريع هجان يبتغى من يخاطر
فأفحمته حتى استكان كـأنه قريح سلال يكتف المشى فاتر (٢٠)

---

(١٦) الغيل : الماء الجارى على وجه الأرض .
(١٧) جزعت : قطعت ، وشمليل : موضع .
(١٨) المرجع السابق ص : ٥٠٩
(١٩) المرجع السابق ، ص ٥٨٦ ، «غلب » تلك الوفود كأنها فحول غلب « تشذر بالذحول » معناه : ينصب بعضهم لبعض ، يصف به القوم بمنزلة تشذر الناقة وهو عقدها ذنبها ، «الغلب» الغلاظ الرقاب « رواسيا أقدامها » ثابتة أقدامها « وبؤت بحقها » معنـــاه واذصرفت به « وأنكرت باطلها » أنكرت من فخر على بالباطل .
(٢٠) الديوان ص

وهذه القصة قد وقف منها بعض النقاد موقف الشك فى نسبتها للبيد فيقول الدكتور طه حسين « ولست أدرى أكانت القصة كما يصورها الرواة أم لم تكن ، أم كانت شيئا مقاربا لها ، ولكن هذه القصة على كل حال تدل على أن لبيدا كان عند العرب صاحب فخر ودفاع عن أحسابه » (٢١) .

ومثل هذا رأى الدكتور شوقى ضيف حيث يقول: «وسواء صح هذا الخبر أم لم يصح فان لبيدا أخذ منذ سال الشعر على لسانه ينظمه فى الفخر بعشيرته والاعتداد بها اعتدادا بالغا » (٢٢) .

أما الدكتور زكريا عبد الرحمن صيام ، فانه يرجح وجود هذه القصة فيقول : « وقد أورد الرواة هذه الحادثة بصور متباينة تاركين فى كل منها صبغة الوضع والمبالغة ، ولكننا نرجح ما أثبتناه هنا لقربه من المنطق » (٢٣) .

وقد تزوج لبيد من امرأة أنجبت له بنتين احداهما كانت تسمى بسرة ورد ذكرها

فى قوله (٢٤) :

وأبوك بسر لا يفند عمره والى بلى ما يرجعن جديد

---

(٢١) حديث الأربعاء ص ٤٤ ج ١ ، الطبعة الثالثة عشرة ، دار المعارف .

(٢٢) العصر الاسلامى ص ٩٠ ط ٦ دار المعارف مصر .

(٢٣) لبيد بن ربيعة بين جاهليته واسلامه ، مطابع دار الشعب – ١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦م .

(٢٤) الديوان ص ٤٧.

وثانيتهما تدعى أسماء التى ذكرها حيث يحذر أن تعمد بعد موته الى صبغ وجهها بالسواد حزنا عليه فيقول :

وحنيت بعد الموت يـــو م تشين أسماء الجبينـا (٢٥)

- ٢ -

وأدرك لبيد الاسلام وقدم على رسـول الله ﷺ فى وفـد بنى كلاب فأسلموا ورجعوا الى بلادهم (٢٦) ، ويقال : ان لبيدا أقـام فى المدينة مدة بعد اسلامه ، تمكن خلالها من تفهم الدين الجديد ، وحفظ بعضـا من القرآن الكريم ، وبذلك عمر نور الاسلام قلبه ، فكتب سورة الرحمن ، ورجع الى قومه يحمل بين جوانحه دينا جديدا (٢٧) .

وبعض الروايات تذكر أن لبيـدا وفـد على رسول الله ﷺ مع عمه عامر بن الطفيل وأخيه أربد (٢٨) ، لأن الرجلين ذهبا لمسـاومة النبى ﷺ ، وكان من مصيرهما أن مات عـامر بن الطفيـل ، وأصابت أربـد صاعقة وهما عائدان ، وفى موت أربد يقول لبيد :

أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماك والأسد (٢٩)

فجعنى الرعد والصواعق بالفارس يوم الكريهة النجد (٣٠)

ويقال فيه نزلت « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » (٣١) وكان

(٢٥) الديوان ص ٢١٧
(٢٦) الشعر والشعراء : ابن قتيبة ص ١٦٧
(٢٧) شعر لبيد بن ربيعة بين جاهليته واسـلامه : د. زكريـا عبد الرحمن صيام ص ١٠
(٢٨) مقدمة الديوان ص ١٠
(٢٩) الحقوق : المنايا ، النوء : المطر والصاعقة .
(٣٠) النجد البطل ذو النجدة ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٦٩
(٣١) آية ١٣ من سورة الرعد .

لموت أربد أثر بالغ فى نفس لبيد فرثاه بعدة قصائد تحسب من جيد شعره ، وفيها يقول :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع
وتبقى الجبال بعدنا والمصانع
وقد كنت فى أكناف جار مضنة
ففارقنى جار بأربد نافع
فلا جزع ان فرق الدهر بيننا
فكل فتى يوما به الدهر فاجع (٣٢)

وبعد أن أقام مع قومه مدة بعد أن أسلم ، التفت اله أهله فوجد أكثرهم قد اندثر فقرر الرحيل الى الكوفة فى عهد عمر بن الخطاب وعاش بين أهلها تربطه صلة بعلمائها ، وولاتها وأفرادها ، ومما يروى فى هذا الصدد أن الوليد بن عقبة واليها سمع بلبيد ، وقربه من مجلسه ، وعرف له حق قدره ، فكان يسئله عن أخبار الجاهلية وأيامهم الماضية (٣٣) ومن ذلك أيضا ارسال عمر بن الخطاب الى المغيرة بن شعبة كتابا يقول فيه « واستنشد من قبلك من شعراء مصرك ما قالوا فى الاسلام فأرسل الى الأغلب العجلى قائلا له : أنشدنى فقال :

أرجزا تريد أم قصيدا لقد طلبت هينا موجودا

ثم بعث الى لبيد فقال أنشدنى ، قال : ان شئت ما عفى عنه يعنى الجاهلية ، فقال لا : أنشدنى ما قلت فى الاسلام ، فانطلق فكتب سورة

---

(٣٢) الديوان ص ٨٨

(٣٣) لبيد بن ربيعة بين جاهليته واسلامه : د. زكريا عبد الرحمن سيام ص ١١

البقرة فى صحيفة ثم أتى بها ، وقال : أبدلنى الله هذه فى الاسلام مكان الشعر ، فكتب بذلك المغيرة الى عمر ، فنقص من عطاء الأغلب خمسمائة ، وجعلها فى عطاء لبيد فصار عطاؤه ألفين » (٣٤) .

ويمضى الرواة فيزعمون أنه لم يقل فى الاسلام الا بيتا واحد ويختلفون فيه ، فمن قائل هو قوله :

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى حتى كسانى من الاسلام سربالى (٣٥)

ومن قائل بل هو :

ما عاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

والحق أن له أشعارا كثيرة تفيض بمعانى الاسلام ، ومثاليته الروحية ، وديوان شعره شاهد بذلك ، ومن الممكن أن نقسم شعره قسمين ، قسما جاهليا ، وقسما اسلاميا .

- ٣ -

ولبيد من الشعراء المجيدين يشهد له بذلك فطاحل الشعراء من الفرزدق فقد « قدم الكوفة ، فمر بمسجد بنى أقيصر ، وعليه رجل ينشد :

وجلا السيول عن الطول كأنها زبد تجد متونها أقلامها

فسجد ، فقيل ما هذا ياأبا فراس ؟ قال أنتم تعرفون سجدة القرآن ، وأنا اعرف سجدة الشعر » (٣٦) .

---

(٣٤) المرجع السابق ص ١٠

(٣٥) العصر الاسلامى د. شوقى ضيف ص ٩٠، ٩١

(٣٦) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى ص ٥١٠

كما أن لبيدا يعترف بانه أشعر الشعراء بعد امرىء القيس حين سئل من أشعر الشعراء ؟ فقد « مر لبيد بن ربيعة بالكوفة بمسجد بنى نهد وهو يتوكأ على محجن له ، فلما جازهم أرسلوا اليه فتى منهم فقالوا : الحق أبا عقيل فاسأله من أشعر العرب ؟ فقال الملك الضليل يعنى امرأ القيس ، فرجع اليهم فأخبرهم فقالوا له : ارجع اليه فاسأله ثم من ؟ فرجع اليه ، فقال : ثم من ؟ فقال : ثم صاحب المحجن أبو عقيل ، يعنى نفسه (٣٧) .

وكانت عائشة رضى الله عنها تكثر من تمثل هذين البيتين له :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلف كجلد الأجرب

يتأكلون ملامة ومذمة ويلام قائلهم وان لم يشغب(٣٨)

ويروى أن رسول الله ﷺ قال : أشعر كلمة تكلم بها العرب كلمة لبيد :

ألا كل شىء ما خلا الله باطل (٣٩)

- ٤ -

وكان لبيد من المعمرين فيقال : انه عاش مائة وأربعين سنة (٤٠) وقد قال حين طوى سبعا وسبعين :

قامت تشكى الى النفس مجهشة

وقد حملتك سبعا بعد سبعينا

فان تزادى ثلاثا تبلغى أملا

وفى الثلاث وفاء للثمانينا (٤١)

---

(٣٧) المرجع السابق ص ٥١١

(٣٨) المرجع نفسه .

(٣٩) المرجع السابق ص ٥١٠

(٤٠) المرجع السابق ص ٥١٢

(٤١) المرجع نفسه .

فلما بلغ تسعين حجة قال :

كأنى وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عن منكبى ردائيا (٤٢)

يقول : كأن مضى هذه السنين فى سرعتها بمنزلة خلعى ردائى عن منكبى . فلما بلغ مائة وثلاثين سنة قال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟ (٤٣)

وأوصى لبيد ابنه حين حضرته الوفاة فقال : « اى بنى ان أباك لم يمت ولكنه فنى فاذا قبض أبوك فغمضه وأقبله القبلة ، وسجه بثوبه ... وانظر جفنتى التى كنت أصنعها فاصنعها وأجد صنعتها » (٤٤) .

وقال لبيد فى الليلة التى توفى فيها :

ابنى هل أحسست الـ سامين بنى أم البنينا
وأبى الذى كان الأرا مل فى الشتاء له قطينا
الفتية البيض المصـ يح أكملوا كرما ولينا
لم تبق انفسهم وكا نوا زينة للناظرينا
واذا دفنت أباك فاجـ ـعل فوقه خشبا وطينا
وصفائحا صما روا سيها يشددن الغصونا
ليقين وجه أبيك سف ساف الترابِ ولن يقينا (٤٥)

---

(٤٢) المرجع السابق ص ٥١٢
(٤٣) المرجع السبق نفسه .
(٤٤) المرجع السابق ص ٥١٣
(٤٥) المرجع السابق نفسه .

وقال أيضا :

تخاف ابنتاى أن يمـــوت أبوهمـــا
وهـــل أنـــا الا من ربيعـــة او مضر
وفى ابنى نزار أســـوة ان نظرتمـــا
وان تســألاهم تلفيـــا عندهم خبـــر
وفيمن ســـواهم من مـــلوك وسوقة
دعـــائم ملك خـــانة الدهـــر فانكسر
فان حـــان يوما أن يمـــوت أبوكمـــا
فلا تخمشـــا وجها ولا تحلقـــا الشـــعر
الى الحول ثم اسم الســـلام عليكما
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر (٤٦)
وقـــولا هو المـــرء الذى لا كرامـــة
أضـــاع ولا خـــان الأمين ولا غـــدر

من معلقة لبيـــد

١ ـ عفت الديـــار محلها فمقامها
بمنى تابـــد غولهـــا فرجامهـــا

معانى المفردات :

عفت : امحت ودرست وبليت ، عفت الريح المنزل محته ودرسته ، وعفت العلة صاحبها أهلكته .

محلها : المحل من الديار ماحل فيه لأيام معدودة .

---

(٤٥) المرجع نفسه .

فمقامها : والمقام من الديار ما طالت الاقامة به .

بمنى : موضع بحمى ضرية غير منى الحرم ، وهو جبل عظيم ليس بحمى ضرية أطول منه ، يشرف على ما حوله من الجبال (٤٧) .

وقيل المراد بمنى « منى مكة ... وسميت منى ، لأن آدم لما انتهى اليها قيل له : أتمنى الجنة ، وقيل سميت منى لما يمنى فيها من الدم ، وقيل لما يمنى فيها من الثواب (٤٨) .

تأبد : توحش لخلوها من الأنيس، «أبدت الدار تأبد أبودا ،وتأبدت.

تأبد : اذا توحشت ، والأوابد الوحش واحده آبد ، ومنه أوابد الشعر المشار اليه بالجودة » (٤٩) .

غولها فرجامها : الغول والرجام جبلان معروفان . ومنه قول أوس ابن حجر :

زعمتم أن غولا والرجام لكم
ومنجعا فاذكروا فالأمر مشترك (٥٠)

« وقيل الغول ماء معروف ، والرجام : الهضاب ، واحدتها رجمة، والرجام فى غير هذا الموضع تجمع أنصابا ينسكون عندها ، ويطوفون بها واحدتها أيضا رجمة » (٥١) .

---

(٤٧) شرح المعلقات السبع للزوزنى ـ دار الجيل بيروت ص ١٢٥ .
(٤٨) شرح القصائد العشر للتبريزى ، تعليق عبد السلام الحوفى ، دار الكتب العلمية بيروت ص ١٥٥ .
(٤٩) المرجع السابق ص ١٥٤ .
(٥٠) شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ١٢٥ .
(٥١) شرح القصائد العشر للتبريزى ص ١٥٥ .

الاعراب :

عفا : لازم ومتعد ، يقال عفت الريح المنزل ، وعفا المنزل نفسه عفوا وعفاء ، وهو فى البيت لازم (٥٢) .

محلها : بدل من الديار ، وهذا رأى التبريزى (٥٣) ، وقد خطأ ابن الأنبارى هذا الاعراب فقال : « والمحل مرفوع بفعل مضمر معناه عفا محلها فمقامها ، ولا يجوز أن يكون المحل والمقام تابعين للديار على جهة التوكيد لأن الفاء أوجبت التفرق ، وانما يتبع من هذا على أنه شبه بكل كقولك : قام أحمرهم وأسودهم ، معناه : قام القوم كلهم ، فاذا نسق بالفاء بطل معنى كل فيبطل الاتباع » (٥٤) .

منى : « تؤنث وتذكر ، فمن أنث لم يصرفها ، ومن ذكر صرفها .

غولها ورجامها : اى ديار غولها ورجامها ، فحذف المضاف واقيم اليه مقامه ، فارتفع ارتفاعه » (٥٥) .

معنى الجيت :

عفت ديار الأحباب ، وانمحت منازلهم ، ما كان منها للحلول دون الاقامة وما كان منها للاقامة ، وهذه الديار كانت بالموضع المسمى «منى» وقد توحشت الديار الغولية ، والديار الرجامية منها لارتحال قطانها واحتمال سكانها .

---

(٥٢) شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ١٢٥ .
(٥٣) المرجع السابق نفسه .
(٥٤) شرح القصائد العشر للتبريزى ص ١٥٥ .
(٥٥) شرح المعلقات السبع للزوزنى .

٢ ـ فمدافع الريان عرى رسمها خلقا كما ضمن الوحى سلامها

المدافع : أماكن يندفع عنها الماء من الربى والأخياف ، الواحد مدفع (٥٦) ، والريان جبل معروف ومنه قول جرير :

ياحبذا جبل الريان من جبل وحبذا ساكن الريان من كانا (٥٧)

ويقول ياقوت فى معجم البلدان : (الريان اسم جبل فى بلاد بنى عامر ، واياه عنى لبيد بقوله :

« فمدافع الريان عرى رسمها الخ »

والريان اسم جبل فى طريق البصرة والريان أيضا جبل فى بلاد طىء » (٥٨) .

وقال صاحب القاموس ، والريان واد بحمى ضرية من بنى كلاب وجبل بديار بنى عامر .

قال صاحب اللسان : وريان اسم جبل ببلاد بنى عامر ، قال لبيد

« فمدافع الريان عرى رسمها » (٥٩)

ويقول شارح المعلقات العشر : « الريان واد بالحمى » (٦٠) وعلى هذا يكون تفسيره للريان مخالفا لما جاء عند ياقوت ، وصاحب اللسان.

---

(٥٦) شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ١٢٦ .
(٥٧) المرجع السابق نفسه .
(٥٨) شرح القصائد العشر للتبريزى تعليق ص ١٥٥ .
(٥٩) تعليق السابق نفسه .
(٦٠) التبريزى ص ١٥٥ .

ومن هذا كله نفهم أن المقصود من الريان عند لبيد هو اسم كما جاء عند التبريزى ، أو اسم جبل فى بلاد بنى عامر لا الريان الذى فى طريق البصرة ، أو فى بلاد طىء .

يروى : « فصدائر الريان » وهو ما صدر من الوادى وهو أعلاه (٦١)

عرى : التعرية مصدر عريته فعرى وتعرى ، وعرى أى بلى .

رسمها : طللها .

خلقا : باليا ، وثوب خلق أى بال يستوى فيه المذكر والمؤنث لأنه مصدر (٦٢) .

الوحى : يروى بضم الواو وهو جمع وحى أى كتاب ، وروى بفتح الواو ، وأصله الموحو فصرف عن مفعول الى فعيل كما قالوا مقدور وقدير (٦٣) .

سلامها : السلام : الحجارة ، الواحدة سلمة بكسر اللام .

الاعراب :

فمدافع معطوف على قوله غولها

خلقا : منصوب على الحال ، والعامل فيه عرى .

معنى البيت :

توحشت الديار الغولية والرجامية ، وتوحشت مدافع جبل الريان ، وغير رسومها فعريت خلقا ، وانما عراها السيل ، ولم تنمح بطول الزمن ، وكأنها كتابة وسطور على الحجر اذا نظرت اليها من قريب .

---

(٦١) شرح المعلقات العشر للتبريزى .

(٦٢) شرح العلقات العشر وأخبارها ، احمد ابن الأمين الشنقيطى دار الكتاب العربى ص ٧٤ تقديم د. فايز ترحيبى .

(٦٣) مختار الصحاح ص ٧٨٠ - مكتبة لبنان ١٩٨٥ م .

٣ - دمن تجرم بعد عهد أنيسها حجج خلون حلالها وحرامها

معانى المفردات :

الدمن : بفتح الميم وسكونها جمع دمنة ، وهى آثار الدار ، وما تبقى من الماء فى الحوض ، أو ما اختلط من البعر والطين عند الحوض فتلبد .

تجرم : التجرم التكمل والانقطاع ، يقال تجرمت السنة ، وسنة مجرمة أى مكملة .

قال الأزهرى : وهذا كله من القطع كأن السنة لما مضت صارت مقطوعة من السنة المستقبلة .

العهد : اللقاء ، والفعل عهد يعهد .

حجج : الحجج : السنون : الواحدة حجة بكسر الحاء .

خلون : مضين ، ومنه الأمم الخالية ، يقول تعالى : « وقد خلت القرون من قبلى » (٦٤) .

حرامها : يريد الشهور الحرم وهى أربعة ، رجب ، وذو القعدة وذو الحجة والمحرم : يقول الحق جل وعلا « ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » (٦٥) .

الاعراب :

دمن : روى برفع دمن على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هى دمن

---

(٦٤) آية ١٧ من سورة الأحقاف .

(٦٥) آية ٣٦ من سورة التوبة .

ويروى : دمنا بالنصب على الحال من الديار والمنازل المذكورة .

حجج : فاعل ، وفعل تجرم

حلالها : بدل مرفوع من حجج

وحرامها : معطوف على حلالها

معنى البيت :

هذه الديار التى محيت بعد مضى عهد أنيسها بها قد مضى عليها سنون بأشهر حلالها وحرامها ، ولخرابها أصبح لا يدخلها آمن ولا خائف فقد تكملت لها أحوال على هذا يؤكد بها محو آثارها .

٤ - رزقت مرابيع النجوم وصابها ودق الرواعد جودها فرهامها

معانى المفردات :

مرابيع : جمع ومفرده مرباع : والمرباع فى الأصل هى التى نتجت فى أول الربيع (٦٦) ، والمقصود به هنا المطر الـــذى يكون فى أول الربيع ، وأضاف المرابيع الى النجوم ، لأنه يقال مطرنا بنوء كذا وكذا ، وأراد بمرابيع النجوم نجوم الوسمى (٦٧) .

وصابها : جادها ، والصوب والاصابة بمعنى واحد . يقال : صابه أمر كذا ، وأصابه ، وعلى هذا فالمصدران - الصوب ، وهو مصدر للفعل الثلاثى صاب ، والاصابة وهو مصدر للفعل الرباعى : أصاب - بمعنى واحد

---

(٦٦) شرح القصائد العشر للتبريزى ص ١٥٧ .

(٦٧) الوسمى : مطر الربيع الأول وهو منسوب الى وسمة الأرض بالنبـات .

ودق : الودق من المطر : الدانى من الارض ، ويقال : ودق يدق اذارنا (٦٨) .

الرواعد : السحائب ذوات الرعد واحدتها راعدة .

جودها : المالمطر الشديد الكثير وقال ابن الأنبارى : هو المطر الذى يرضى أهله (٦٩) .

فرهامها : جمع رهمة بكسر الراء . وهى المطرة التى فيها لين .

وروى الأصمعى : « رزقت مرابيع السحاب بدلا من مرابيع النجوم (٧٠) .

الاعراب :

مرابيع : مفعول ثان لرزقت .

معنى البيت :

يقول الزوزنى فى شرح هذا البيت :

رزقت الديار والدمن أمطار النجوم الربيعية فأمرعت ، وأعشبت وأصابها مطر ذوات الرعود من السحائب ، ما كان منه عاما قويا مرضيا اهله ، وما كان منه لينا سهلا ، وتحرير المعنى : ان تلك الديار ممرعة معشبة ، لترادف الأمطار المختلفة عليها (٧١) .

وفى شرح القصائد العشر معنى غير هذا المعنى السابق ، يقرره

---

(٦٨) شرح القصائد العشر للتبريزى ص ١٥٧ .
(٦٩) شرح المعلقات السبع : الزوزنى ص ١٢٧ .
(٧٠) شرح القصائد العشر : التبريزى ص ١٥٧ .
(٧١) شرح المعلقات السبع ص ١٢٧ .

صاحبه فيقول : يصف أن الأمطار مالت على هـذه الـديار فعفت آثارها (٧٢) » .

وبناء على ما تقدم فالبيت يحمل معنيين .

المعنى الأول : ان تلك الأمطار أصابت تلك الديـار فجعلتهـا معشبة والمعنى الثانى : ان تلك الأمطار أصابت تلك الديار فعفت ومحت آثارهـا .

وهناك من يجعل معنى هذا البيت بقوله : « ويدعو للـديار بأن ترزق أمطار الربيع ، وأن يصيبها مطر السحب الرواعد الغزير الكثير منها ، واللين الخفيف ، فهو يدعو للديار بأن يصيبها المطر بنوعيـه اللين أو الشديد » .

وأنا أميل الى الرأى الأخير ، لأن الشاعر متعلق بديار محبوبته ، وله فيها ذكريات طيبة فهو يتمنى أن يراها ربيعا دائما لا قفرا مجدبا .

٥ ـ من كل سارية وغاد مدجن وعشية متجـاوب ارزامهـا

معانى المفـردات :

سارية : السارية : السحابة الماطرة ليلا ، والجمع السوارى ، وأنث السارية على معنى السحابة ، ومن كل سارية متعلق بكلمة صابهـا فى البيت السابق .

وغاد : يجىء بالغداة ، وذكر غاد على معنى السحاب .

---

(٧٢) شرح القصائد العشر : التبريزى ص ١٥٧ .

ومدجن : من الادجان ، وهو الباس الغيم السمـاء ، وفى ذلك يقـول طرفه :

وتقصير يوم الدجنوالدجنمعتم ببهكنة تحت الخباءالمعمد(٧٣)

ويوم مدجن : متغيم من أوله الى آخره ٠

وعشية : أى سحابة جاءت عشاء ، وعشية على تقدير حذف مضاف أى سحابة عشية أو موصوف ٠

ارزامها : روى بكسر الهمزة وفتحها ، وارزامها تصويتها بالرعد، « وأرزام الناقة حنينها على ولدها » (٧٤) ، « وقد أرزمت الناقـة اذا رغت ، والاسم : الرزمة » (٧٥) ، ويقال سحابة رزمة ، مصونة بالرعـــد ٠

والضمير فى أرزامها يعود على السارية والغادىوالعشية : أى لكل واحدة منها : رزمة : أى صوت شديد ٠

وقال أهل اللغة : الهاء فى قوله « ارزامها تعود على العشية»(٧٦)

معنى البيت : هذه الأمطار متنوعة : فمنها مطر سحابة سارية ، ومطر سحاب غاد يلبس آفاق السماء بكثافته وتراكمه ، ومنها مطـــر سحابة عشية يتجاوب أصواتها ورعودها ٠

٦ ـ فعلا فروع الأيهقانوأطفلت بالجهلتين ظباؤهـــا ونعامهـا

---

(٧٣) الشعر والشعراء : ابن قتيبة ص ١٠٧ ٠
(٧٤) شرح القصائد العشر للتبريزى ص ١٥٧ ٠
(٧٥) شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ١٢٧ ٠
(٧٦) شرح القصائد العشر للتبريزى ص ٣٢ ٠

معانى المفـردات :

فعلا بعين مهملة ومعجمة ، وغلا بالعين المعجمة : أى ارتفـع ، وزاد من قولهم قد غـلا السعر اذا ارتفع ، ويغلو الصبى اذا شب ، وفعل ذلك فى غلوائه : أى فى شبابه ٠

ويروى فاعتم نور الأيهقان ، واغتم : ارتفع

الأيهقان : بفتح الهاء وضمها ، ضرب من النبت وهو الجـــرجير البرى ٠

الجهلتان : جانبا الوادى

أطفلت : أى صارت ذوات أطفال ٠

ظباؤها ونعامها : يريد أطفلت ظباؤها ، وباضت نعامها ، لأن النعام تبيض ، ولا تلد الأطفال ٠

الاعـــراب :

فروع : فاعل ، وفعله : علا ، ويجوز نصب فروع بالفتحت على أنها مفعول ، ويكون المعنى علا السيل فروع الأيهقان ، والمعنى على أن فروع فاعل لعلا : أجود ، « لأن المعنى فعاشت الأرض وعاش ما فيها ، ألا ترى ان بعده ، وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها » (٧٧) ٠

ونعامها : عطف النعام على الظباء فى الظاهر ، لأنه يقال أفرخ النعام ، وانما قال هذا ، لأن الفرخ بمنزل الطفل ، والمعنى فى الأصل : أطفلت ظباؤها وأفرخ نعامها ٠

---

(٧٧) شرح القصائد العشر : التبريزى ص ١٥٨ ٠

ومثله قول الشاعر :

اذا ما الغانيات برزن يوما وزججن الحواجب والعيونا

أى وكحلن العيونا .

وقول الآخر :

يا ليت زوجك قد غدا متقلدا سيفا ورمحا

أى وحاملا رمحا ، أو أن الشاعر ضمن متقلدا ، حاملا ، لأن السيف يحمل .

وهذان المعنيان : الحذف والتضمين وجد فى قولهم : «علفتها تبنا، وماءا باردا » فالحذف على معنى قوله ، علفتها تبنا ، وسقيتها ماء باردا، والتضمين على أنه علفتها بمعنى أنلتها وأعطيتها فيكون المعنى أنلتها وأعطيتها تبنا وماء باردا .

ومثل ذلك قول طرفة :

« لها سبب ترعى به الماء والشجر »

فضمن ترعى بمعنى تنال ، أى تنال به الماء والشجر .

وهذان الوجهان أى الحذف والتضمين أجراهما صاحب الكشاف فى قوله تعالى : « أن أفيضوا علينا من الماء ، أو مما رزكم الله » فقال هو على تضمين أفيضو بمعنى ألقوا ، ليصح انصبابه على الشراب والطعام معا ، أو على تقدير بعدأ أو ألقوا مما رزقكم الله .

معنى البيت :

ان هذه الديار قد اخضبت ، وأعشبت فعلا بها فروع هذا الضرب من

النبت ، وأصبحت الظباء والنعام ذوات أطفال بجانبى وادى هذه الديار ٠

٧ — والعين ساكنة على أطلائها عوذا تأجل بالفضاء بهامها

معانى المفردات :

العين : البقر ، الواحدة عيناء ، والذكر أعين ، وسميت عينا لضخم عيونها ٠

وقوله : عين فى جمع عيناء « كان يجب أن يكون عينا مضمومة العين ، مسكنة الياء كما تقول حمراء وحمر ، فكسرت العين لمجاورتها الياء » (٧٨)

ساكنة : مطمئنة ٠

أطلائها : الواحدة طلا ، والطلا ولد الوحش الى أن يأتى عليه شهر ، ويستعار لولد الانسان وغيره ٠

وقد روى «والعين عاكفة» ، وروى «والوحش ساكنة»

وهى رواية محمد بن أبى خطاب (٧٩) ٠

عوذا : الحديثات النتاج ، الواحدة عائذ ، وجمع الفاعل على فعل قليل ، معول فيه على الحفظ ٠ (٨٠)

---

(٧٨) شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات — ابن النحاس — دار الكتب العلمية بيروت ص ١٣٣ ٠

(٧٩) شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، أحمد بن الأمين الشنقيطى ص ٧٥ ٠

(٨٠) شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ١٢٩ ٠

قال صاحب اللسان : العائذ كل أنثى اذا وضعت مدة سبعة أيام ، لأن ولدها يعوذ بها ، والجمع عوذ بمنزلة النفساء من النساء .

تأجل : الأصل تتأجل ، ثم حذفت التاء لاجتماع تاءين ، وتأجل تصير آجالا ، الواحد أجل وهو القطيع من الظباء ، والبقر ، والشاء ، وقال ابن الأنبارى : « الأجل : القطيع من الظباء وربما استعمل فى البقر (٨١) » وقيل تأجل : تجمع ، وقيل تقبل وتدبر » (٨٢)

الفضاء : الواسع من الأرض .

بهامها : البهام جمع بهم ، والبهم جمع بهمة ، وهى ولد الضأن ذكرا كان أو أنثى ، والمقصود بالبهام هنا صغار البقر على سبيل المجاز.

الاعـــراب :

عوذا : حال من العين .

معنى البيت :

والبقر الواسعات العيون قد سكنت وأقامت على أولادها ترضعها حال كونها حديثات النتاج ، وأولادها تصير قطيعا فى تلك الصحراء تقبل وتدبر .

٨ - وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

معانى المفـردات :

جـلا : كشف

الطلول : جمع طلل ، وهوما شخص من الآثار والديار ، ولا يقال له طلل حتى يكون مرتفعا .

---

(٨١) شرح القصائد العشر : التبريزى ص ١٢٩ .

(٨٢) شرح القصائد المشهورات ابن النحاس ص ١٣٤ .

زبر : الكتب الواحد زبور ، وهو الكتاب ، فعول بمعنى مفعول « وتقول ذبرت الكتاب كتبته ، وذبرته قرأته » (٨٣) هـذا قـول الأصمعى ، قال أبو عبيدة زبرت وذبرت بمعنى واحد .

تجـد : أى يعاد عليها الكتابة بعد أن درست ، والاجـداد والتجديد واحد (٨٤) .

متونها : ظهورها وأوساطها .

معنى البيت :

انه يصف أن هذا السيل قد كشف عن بياض وسواد الطلول فشبهه بكتاب قد تطمس فأعيد على بعضه ، وترك ما تبين منه فكأنه مختلف وكذلك آثار هذه الديار .

٩ ـ أورجع واشمة أسف نئورها كففا تعرض فوقهـن وشـامها

معانى المفـردات :

رجع : الترديد والتجديد ، (ومن معانى الرجع المطر ، قـال تعالى : « والسماء ذات الرجع أى ذات النفع » (٨٥)

واشمة : الواشمة هى التى تشم اليـد .

أسف : الاسفاف الذر ، وفى الحديث كأنما أسف وجهه أى تغير ، كانه ذر عليه شىء غيره .

---

(٨٣) شرح القصائد العشر : التبريزى ص ١١٠ .
(٨٤) شرح المعلقات السبع الزوزنى .
(٨٥) مختار الصحاح ص ٩٩ ـ مكتبة لبنان .

نئورها : الاثمد « وقيل النئور ما يتخذ من دخان السراج والنار ، وقيل النيلج » .

كففا : الكفف : الدارات من الوشم والواحدة كفة ، ويقال لكل مدور كفة نحو كفة الميزان وما أشبهها ، ويقال لكل مستطيل كفة ، ومنه قيل لحاشية الثوب كفة ، وأصل هذا من الكف وهو المنع ، ومنه سميت اليد كفا ، لأن الانسان يمتنع بها ، ومنه مكفوف ، لأنه قد منع التصرف .

تعرض : ظهر ولاح ، ومن معانى تعرض : أقبل وأدبر .

وشامها : الوشام مفرده الوشم ، ومعنى الوشم هو غرز ظاهر اليد وغيره بابرة وحشو المغارز بالكحل أو النقش بالنيلج .

الاعـــراب :

كففا : حال ، أو مفعول ثان .

تعرض : روى بفتح الضاد وعليه فهو فعل ماض ، وروى تعرض بضم الضاد ، وعليه فهو فعل مضارع ، حذفت منه احدى التاءين تخفيفا .

وشامها : فاعل تعرض .

معنى البيت :

كأن هذه الأطلال حينما كشف عنها السيول رجع واشمة ذرت نئورها فى دارات ظهر الوشم فوقها فاعادته كما تعيد السيول الأطلال الى ما كانت عليه .

١٠ - فوقفت أسألها وكيف سؤالنا صما خوالد ما يبين كلامها؟

معانى المفردات :

صما : الصم : الصلاب ، والواحد أصم ، والواحدة صماء .

ويروى سفعا ، وهى الأثافى ، والسفعة سواد الى الحمرة .

خوالد : بواقى لم تذهب آثارها فيذهل عنها . يبين : بفتح الياء وضمها ، وهما بمعنى ظهر ، ومعند ما يبين كلامها : أى ليس لها كلام فيبين هذا قول أهل اللغة ، وحكى أبو الحسن عن بندار قولا آخر : « وهو أن المعنى ليس بها من الأثر ما يقوم مقام الكلام ، فيبين لنا قرب العهد أو بعده ، فجعل ما يبين له بمنزلة الكلام » (٨٦) .

معنى البيت :

فوقفت أسأل الطلول عن سكانها ، وكيف سؤالنا حجارة صلابا بواقى لا يظهر كلامها ؟ ولا وجد منها من الأثر ما يقوم مقام كلامها .

١١ - عريت وكان بها الجميع فأبكروا منها وغودر نؤيها وثمامها

معانى المفردات :

عريت : خلت .

فأبكروا منها : فيه قولان : أحدهما أنهم ارتحلوا منها بكرة . يقال بكر ، وأبكر ، والقول الآخر أن معنى « فأبكروا : ارتحلوا فى أول الزمان » (٨٧) « وبكرت من المكان وأبكرت ، وابتكرت ، وبكرت بمعنى أى سرت منه بكرة » (٨٨) .

---

(٨٦) شرح القصائد المشهورات : ابن النحاس ص ١٣٥ .
(٨٧) شرح القصائد المشهورات : ابن النحاس ص ١٣٥ .
(٨٨) شرح المعلقات السبع الزوزنى ص ١٣٠ .

وغودر : ترك وخلف ، وقيل انما سمى الغدير غديرا ، لأن السيل غادره أى تركه ، وقيل : انما سمى غديرا ، لأن المسافرين يمرون بـه ملآن ماء يرجعون فلا يجدون فيه شيئا ، فكأنه غدر بهم .

نؤيها : النؤى : حاجز يجعل حول الخيمة ، لئلا يصل السيل اليها .

وثمامها : الثمام : نبت يجعل حول الخيمة ، ليمنع السيل ويقى الحر ، « ويطلق على وطاب اللبن ، لأنه أبرد ظلا »(٨٩)

معنى البيت :

أن أهل هذه الديار ارتحلوا عنها فى وقت مبكر ، وهجر الحفر الذى حول هذا البيت ، وأهمل نبت الثمام الذى كانوا يستظلون به ، ويسدون به خلل بيوتهم .

١٢ - شاقتك ظعن الحى يوم تحملوا فتكنسوا قطنا تصر خيامها

معانى المفردات :

شاقتك : دعتك الى الشوق اليها .

ظعن : الظعن بتسكين العين ، تخفيف الظعن بضمها ، وهى جمع الظعون ، وهو البعير الذى عليه هودج ، وفيه امرأة ، وقد يكون الظعن جمع ظعينة وهى المرأة الظاعنة .

مع زوجها ، ثم يقال لها وهى فى بيتها ظعينة ، وقد يجمع بالظعائن أيضا .

---

(٨٩) شرح القصائد العشر : التبريزى ص ١٦١ .

تحملوا : ارتحلوا بأحمالهم ، ويروى حين تحملوا .

فتكنسوا : دخلوا الهودج .

قطنا : قولان : أحدهما أنه يريد أغشية القطن ، والمعنى على هذا فدخلوا قطنا ، أى دخلوا أغشية القطن ، والقول الآخر أن يكون قطن جمع قطين وهم الجيران (٩٠) .

تصر : الصرير صوت الباب والرحل وغير ذلك .

خيامها : هوادجها ، ومعنى تصر خيامها يعنى أنها جدد ، لأن القديم لايصر (٩١) ، أو تعجل بهن ابلهن فتهز الخشب فتصر .... وقيل تصر من ثقلها (٩٢) .

الاعـــراب :

قطنا : مفعول به على أن المراد بالقطن أغشية القطن ، أو حال على أن المراد بالقطن : الجيران

معنى البيت :

لقد أهاجت مشاعرك نساء الحى حين ارتحلن فوق الهوادج المغطاة بثياب القطن ، أو سيرهن جماعات ،بينما الهوادج تحـــدث صريرا لجدتها أو لثقلها .

---

(٩٠) شرح القصائد المشهورات : ابن النحاس ص ١٣٦ .

(٩١) المرجع نفســه .

(٩٢) شرح القصائد العشر : التبريزى ص ١٦٢ .

١٣ - من كل محفوف يظل عصيه زوج عليه كله وقمرامها

معانى المفردات :

محفوف - أراد الذى قد حف وستر بالثياب ، وهى صفة لموصوف محذوف تقديره : هودج

عصيه : عيدان الهودج .

الزوج : النمط من الثياب .

كلة : المقصود بالستر الذى يلقى فوق الهودج لئلا تؤذى الشمس صاحبته .

قرامها : القرام : ستر فيه رقم ونقوش (٩٣).

الاعراب :

عصيه : مفعول به .

زوج : فاعل .

معنى البيت :

الهوادج محفوفة بالثياب ، فعيدانها قد أحيط بها نمط من الثياب ذات غطاء لوقاية المحبوبة من الشمس ، وأستار رقيقة .

واعترض على هذا البيت بأن المحفوف الهودج ، والزوج ، النمط، فكيف يظل النمط وهو أسفل العصى وهى فوق ؟ وانما كان ينبغى أن

---

(٩٣) مختار الصحاح ص ٢٣٢ .

يرووه :من كل محفوف يظل عصيه زوجا ، ثم يرجع الى المحفوف فيقول عليه كلة وقرامها ٠

وأجيب على هذا الاعتراض بأن العرب كانوا يلقون أيضا النمط فوق الاعواد ، ويلقونه داخلـــه ، وقـــد رؤى هـــذا راى العين فى البادية (٩٤) ٠

١٤ ـ زجلا كان نعاجتوضحفوقها وظبـاء وجـرة عطفـا أرآمهـا

معانى المفـردات :

زجلا : الزجل بضم الزاى : الجماعات ، والواحد زجـلة ، ومن روى زجلا بفتح الزاى ، فالواحد عنده زاجل وهو الصوت (٩٥) ٠

نعاج : اناث البقرالوحشى الواحد نعجة ٠

توضح ، وجرة : موضحان ٠

عطفا : من العطف الذى هو الترحم ، أو من العطف الذى هو الثنى ٠

ارآمها : أرام : جمع رئم وهو الظبى الخالص البياض ٠

الاعـــراب :

زجلا : حال من الضمير فى تحملوا فى البيت « شاقتك ظـــعن الحى يوم تحملوا »٠

---

(٩٤) الشعر والشعراء : ابن قتيبة تحقيق الدكتور مفيد قميحـــة ص ١٧٣ ـ دار الكتب العلمية بيروت ٠

(٩٥) شرح القصائد المشهورات ص ١٣٧ ٠

عطفا أرآمها : عطفا : حـال : أرآمها ـ فاعل من عطفا ، ويجـوز أن يعرب «عطفا» بالرفع على أنه خبر مقدم ، وأرآمها : مبتدأ مؤخر .

معنى البيت :

انهن فى بياض ألوانهن ، ولحظ عيونهن حين ارتحلوا جماعات، أو بأصواتهن نعاجتوضح ، وظباء وجرة ، متعطفات أو منحنيات على أولادهن .

١٥ ـ حفزت وزايلهاالسرابكأنها أجزاع بيشة أثلهـا ورضامهـا

معانى المفـردات :

حفزت : دفعت بشدة ، ويعنى الظعن .

زايلها : « حركها من قولك : أزلت فلانا عن مكانه أى أحوجته الى تركه منه ، وقيل زايلها : أى فارقها من قولك ما أزايله ، أى ما أفارقه، لايقال فى هذا المعنى أزاوله ، لأن معنى أزاوله : أخاتلهكمال قال زهير:

بتنا قياما عند رأس جوادنـا يزاولنا عذ نفسه ونزاوله (٩٦)

أجزاع : والأجزاع : جمع جزع « قال الأصمعى : هو جانب الوادى، وقال أبو عبيدة : ومنحناه أى منقطعه (٩٧) » ، فأما الجزع بالفتح فهو الخرز قال امرؤ القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا وأرحلنا الجزع الـذى لم يثقب

بيشـة : اسم موضع .

أثلها : شجر يشبه الطرفاء ، الا انه أعظم منها (٩٨)

---

(٩٦) شرح القصائد المشهورات : ابن النحاس ص ١٣٧ .
(٩٧) المرجع نفسـه .
(٩٨) شرح المعلقات السبع : الزوزنى ص ١٣٣ .

ورضامها : الرضام : جبال صغار .

الاعـراب :

أثلها ورضامها : أثلها : بدل من اجزاع ، ورضامها معطـوف على أثلها .

معنى البيت :

ان هذه الأحجال لما زايلها السراب واندفعت فى سيرها بشدة كأنها منعطف وادى بيشة أثلها ، وقد ضربته الريح فهو يخفق ، أو حجارتها العظـام .

١٦ ـ بل ما تذكر من نوار وقد نأت
وتقطعت أسبابها ورمامها (٩٩)

معانى المفـردات :

نوار : اسم امرأة ، « قال أبو الحسن بن كيسـان : النوار : النفور من الوحش »

فأت : بعـدت .

أسبابها : حبالها : يعنى حبال المودة .

رمامها : الرمام جمع رمة بضم أوله ويكسر ، وهى القطعة من الحبل المخلقة .

الشاعر فى هذا البيت يضرب عن صفة الديار من غير ابطال لمـا سبق وهذا ما يفيده كلمة « بل » فى البيت .

---

(٩٩) شرح القصائد المشهورات ابن النحاس ص ١٣٨ .

الاعـــراب :

ما تذكر : ما : مفعول به منصوب مقدم أى شى تذكر ؟ الأصـــل تتذكر ، حذفت احدى القائين ٠

معنى البيت :

ما الذى تتذكره من نوار ، وقد بعدت عنك ، وتقطعت أسـباب أوصالها وخلقت حبال اللقاء بها ؟

١٧ ـ مرية حلت بفيد وجاورت أهل الحجاز فأين منك مرامها؟

معانى المفـردات :

مرية : منسوبة الى مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض(١٠٠)

حلت : نزلت ٠

بفيد : فيد موضع فى طريق مكة ، وجاورت أهل الحجـــاز ، ويروى وجاوزت الجبال (١٠١) ٠

الاعـــراب :

مرية : يجوز نصبها على الحال ، ويجوز رفعها على أنها خبـر لمبتدأ محذوف تقديره : هى مرية ، ويجوز جرها على أنهـــا بـــدل من نـــوار ٠

---

(١٠٠) شرح القصائد العشر : التبريزى ص ١٤ ٠
(١٠١) شرح القصائد المشهورات ابن النحاس ص ١٣٨ ٠

معنى البيت :

انها مرية فليست من أهلك ، وقد حلت بفيد ، فقد بعدت عنك ، وجاورت أهل الجبال وهم أعداؤك ، فما طلبك لها ؟

١٨ - بمشارق الجبلين أوبمحجر فتضمنتها فـــردة فرخامهـــا

معانى المفـردات :

مشارق الجبلين : أو جوانبهما التى تلى المشرق ، والمقصود بهما : أجـا ، سلمى .

بمحجر : بكسر الجيم اسم موضع ، ويروى عن الأصمعى انه كان بفتح الجيم ، وقال أبو زياد : محجر : له رمل حجر به ، فعلى هـــذا الجيم مفتوحة (١٠٢) .

فردة : أرض .

رخامها : جبل قريب من فردة ، وقال ابن السكيت هو موضـع غليظ الشجر .

معنى البيت :

انها حلت أيضا بمشارق جبلى أجا وسلمى ، أو حلت بمحجـــر فتضمنتها فردة الأرض المتصلة بها وهى رخام .

١٩ - فصوائق أن أيمنت فمظنة فيها وحاف القهر أو طلخامـــا

---

(١٠٤) شرح القصائد العشر : التبريزى ص ١٦٥ .

معانى المفـردات :

فصوائق : صوائق كما فى معجم البلدان اسم جبل بالحجاز قرب مكة لهذيل ، ويروى فصعايد .

أيمنت : أخذت نحو اليمين ، كما يقال : أشأم اذا أتى الشـام وأعرق اذا أتى العراق وأنجد اذا أتى نجد ، وقيـل أخـذت ذات اليمين (١٠٣) .

فمظنة : مظنة الشىء حين يظن كونه فيه وهـو من الظـن وحاف : آكام صغار ، وقال يعقوب بن السكيت : وحـاف كـل شىء ما أحاط به .

القهر : جبـل .

طلخامها : اسم جبل مضاف لضميرها الذى يعود على القهر .

معنى البيت :

هذه المواضع يظن بها أنها فيها ، أى خليق بها أن تكون فيهـا .

٢٠ ـ فاقطع لبانة من تعرض وصله ولشر واصـل خـلة صرامهـا

معانى المفـردات :

لبانة : اللبانة : الحاجة ، يقول عمرو بن كلثوم فى معلقته فى وصف الخمرة.

تجوز بذى اللبانة عن هـواه اذا ما ذاقها حتى يبينا (١٠٤)

---

(١٠٣) المرجع السابق ص ١٦٦ .

(١٠٤) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ـ أبى بكر محمد ابن القاسم الأنبارى ، تحقيـق وتعليـق : عبد السلام محمد هارون ص ٢٧٣ ط ٣ ـ دار المعارف بمصر .

ومعنى بيت عمرو بن كلثوم : « ان الخمر تميـــل بشاربها عن حاجته » (١٠٥) أى فيلين لأصحابه ويجلس معهم ويتركها ، قال التبريزى « وقيل حتى يلين هواه فيسكر عنه » ونلحظ أن عبارة « فيسكر عنه » تحريف ولعل صحتها فيسلو عنه ، ويقول البارودى فى شطر بيت له : « وشبت ولم أقض اللبانة من سنى » ويقول صاحب القاموس « واللبان بالضم الحاجات من غير فاقة بل من همه جمع لبانة ، قـــال بعض محشيه : اللبان جمع لبانة بمعنى حاجة أى الاهتمام ، وعلو الهمة لا الفاقة فهى أخص وأعلى من مطلق الحاجة .

ويقول ابن الأنبارى فى شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : « اللبانة : الحاجة ، يقال لى اليه حاجة ولبانة ، وأشكلة وشهـــلاء ، انشـد أبو عمرو :

لم أقض حين ارتحلوا شهلائى من الكعـاب الطفلة الحســـناء

ويقال : لى اليه مأربة : أى حاجة ، وجمعها مآرب قال الله تبارك وتعالى (ولى فيها مآرب أخرى) أى حوائج .. ويقال قضيت من الشىء وطرا ، اذا قضيت حاجتى منه قال الله تبارك وتعالى : (فلمـــا قضى زيـد منها طرا) » (١٠٦)

ومن معانى اللبانة أيضا : العلاقة والمودة ، كما يراد بها كذلك : الأمل كما فى هذا البيت .

تعرض : تبدل ولم يستقم على حالة واحدة « ومن ذلك يقـــال بعير فيه عرضية ، أى يواتى راكبه ... ويقال للرجل : اذا صعد الجبل

---

(١٠٥) شرح القصائد العشر التبريزى ضبط وتصحيح عبد السـلام الحوفى ص ٢٥٦ دار الكتب العلمية بيروت .

(١٠٦) ص ٣٧٣ .

عرض دابتك ، يريد خذها يمنة ويسرة ، فانه أهـــون عليهـــا فى الصعود » (١٠٧) ويقال أعرضته من مالى بكذا ، أى عوضته منه به ، وتعرض أبدى جانبه ، وفى مختار الصحـــاح (تعـــرض لفـــلان تصـدى له) (١٠٨)

خلة : ويقول ابن الأنبارى : « والخلة : الصديق ، والخلة الصداقة ، قال الشاعر :

ألا أبلغنـــــا خلتى جابـــرا بـــأن خليـــلك لـــم يقتـــل

تخاطـــأت النبـــل أحشـــاءه وأخـر يومى فلم يعجل(١٠٩)

ويقول الزوزنى : « الخلة : المودة المتناهية ، والخليل والخـل والخلة واحد » (١١٠) وفى القاموس : الخلة بالضم : الخليلة،والصداقة المختصة لا خلل فيها ، تكون فى عفاف ودعارة جمعها خـلال ، وفى المختار الصحاح : « والخلة بالفتح الخصلة ، وهى أيضا الحاجة والفقر، والخلة بالضم : الخليل ، يستوى فيه المذكر والمؤنث ، والخل : الـود والصديق ، والخليل الصديق ، والأنثى خليلة » (١١١) .

ومن معانى الخلة : الحب الذى يتخلل البدن .

صرامها : يقول الزوزنى : « الصرام القطاع ، فعال من الصرم وهو

---

(١٠٧) شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات : ابن الأنبارى ، تحقيق عبد السلام هارون ص ٥٣٧ .

(١٠٨) ص ١٧٩ ـ مكتبة لبنـان .

(١٠٩) شرح المعلقات السبع الطوال الجاهليات ابن الأنبارى تحقيق عبد السلام هارون ص ٥٣٧ .

(١١٠) شرح المعلقات السبع ص ١٣٦ ـ دار الجيل بيروت .

(١١١) ص مكتبة لبنـان .

القطع ، والفعل صرم يصرم » (١١٢) وفى المختار الصحاح : « صرم الشيء قطعه ، وصرم الرجل : قطع كلامه ، والاسم الصرم بالضم ، وصرم النخل جذه ، وصرم الرجل : قطع كلامه ، والاسم الصرم بالضم ، وصرم النخل جذه ، وباب الثلاثة ضرب » (١١٣) ويقول ابن النحـــاس : « الصرام : القطاع ، والصرم : القطيعة » (١١٤)

ورواية البيت على هذه الصورة هى رواية ابن الأنبارى • ويروى لنا عن الأصمعى ولخير موضع ولشر فى البيت المذكور « فاقطع لبانـة من الخ •

وفى ذلك يقول ابن الانبارى : « وقال الأصمعى عن خلف الأمر : سمعت اعرابيا ينشدها ولخير واصل خلة صرامها

أى أحسن الناس وصلا اذا وصل أوضعهم للصرم فى موضعه ، ويقال فى مثل من الأمثال « كل ألوف نفور » وقال : هو الذى يصرم فى موضع الصرم ويحسن الوصل اذا وصل ، ومن لا يصرم فى موضع الصرم لايحسن أن يصل » (١١٥)

وقال ابن النحاس : « وقال أكثر أهل اللغة معنى :

ولخير واصل خلة صرامها

---

(١١٢) شرح المعلقات السبع ص ١٣٦ دار الجيل بيروت •
(١١٣) ص ١٥٢ ـ مكتبة لبنان •
(١١٤) شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات جا ص١٤٠ ـ ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ـ دار الكتب العلمية بيروت •
(١١٥) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليـــات تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون ص ٥٣٧ •

خير الواصلين من صرم من قطعه أى مكافأة على ما فعل » (١١٦)

ثم يذكر لنا رأى بندار فى هذا المعنى فيقول : « قال أبو الحسن قال لنا « بندار معنى :

ولخير واصـــل خـلة صرامها

خير الأصدقاء من اذا علم من صديقه أن حاجته تثقل عليه قطع حوائجه منه لئلا يفسد ما بينه وبينه ، قال أبو الحسن قال لنـا بنـدار مثل هذا قول بعضهم اذا أردت أن تدوم لك مودة صديقك فاقطع حوائجك عنه اذا كنت تكره أن يردك » (١١٧) ، والتبريزى ينقل لنا ما نقلـه ابن النحاس فى هذا المعنى (١١٨) ، ويعلق ابن قتيبة على هذا البيت فيقول : « اقطع لبانتك ممن لم يستقم لك وصله فان أحسن للناس وصلا احسنهم وضعا للقطيعة فى موضعها » (١١٩) .

معنى البيت :

وخير الآراء فى هذا ما رواه ابن الأنبارى وخلاصته : من يحسن الوصل يحسن الهجر ، ويقول الدكتور طه حسين فى معنى هـــذا البيت (١٢٠) : اقطع خاصتك من كل من لم تستقم لك مودته وانصرف عنه انصرافا وأظهر المودة لمن أظهرها لك مجاملا وان اعوج عليـــك ضميره والتوت عليك محبته فى حقيقة الأمر : وتعز عن هذا كله باقتحام الصحراء وتجشم اهوالها .

---

(١١٦) شرح القصائد المشهورات الموسوعة بالمعلقات ص ١٣٩ .
(١١٧) المرجع السابق نفسه .
(١١٨) شرح القصائد المشهورات الموسوعة بالمعلقات ص ١٣٩ .
(١١٩) ابن قتيبة ص ١١٧ .
(١٢٠) حديث الأربعاء ج ١ ص ٣٤ .

تحليل ونقـد وموازنة

الأفكار الرئيسية :

١ ـ عفت ديار الأحباب ، فأصابها البلى والخراب بسبب الارتحال عنهـــا .

٢ ـ توضيح موقع الديار وتصويرها .

٣ ـ الدعاء لديار الأحبة بان ترزق المطر وبيان انواعه ووقته .

٤ ـ ديار الأحبة أصبحت مغنى الوحش بعد ان كانت مغنى الأنس.

٥ ـ تصوير الديار بعد أن درست .

٦ ـ تصوير وقائع رحلة الظعائن ، وتتبع خطوات سيرهن .

٧ ـ الأماكن التى حلت فيها محبوبة الشاعر .

٨ ـ اقطع الأمل فيمن لا يستقيم وصله وان شر خليل من يقطع وده بعد أن وصـل .

الصـور البلاغية :

اشتملت الأبيات على كثير من الصور البلاغية :

ففى البيت الأول : « غولها فرجامها » كناية عن الديـار ، وسر جمال الكناية هو اتيان المعنى مصحوبا بالدليل .

وفى البيت الثانى : تشبيه فقد شبه هذه المنازل كأنهـــا كتـاب فى حجارة ، وسر جمال التشبيه ، توضيح فكرة الشاعر ، وهذا التشبيه انما يظهر لمن يقرب من هذه الآثار .

وفى البيت الثالث : « خلون حلالها وحرامها » كناية عن مضى السنين والبيت الثالث كله كناية عن أن هذه الديار لا يدخلهـــا آمن ولا خائف ٠

وفى البيت الرابع : «مرابيع» استعارة تصريحية فقد استعـــار كلمة مرباع التى أصلها هى التى نتجت فى أول الربيع للمطر الـــذى يكون فى أول الربيع المقصود به هنا فى البيت ، والبيت الرابع كـله كناية عن أن تلك الديار ممرعة مغشبة ، لترادف الأمطار المختلفة عليها.

وفى البيت الخامس ايجاز بالحذف فقد أتى بالصفة وهى سارية ، وتقديره سحابة ، وكذلك فى غاد ، أى سحاب غاد ، وعشية ، أى سحابة عشية كما استعار حنين الناقة على ولدها وهو الارزام للسحابة القادمة عشاء ٠

والبيت الخامس كله كناية عن الأوقات التى تنزل فيها المطر ، فقد جمع فى هذا البيت أمطار السنة ، لأن أمطار الشتاء أكثرها يقع ليلا ، وأمطار الربيع أكثرها غداة ، وأمطار الصيف أكثرها يقع عشيا كمـا زعم مفسرو هذا البيت (١٢١) ٠

وفى البيت السادس مجاز بالحذف تقديره « وباضت نعامها » وهو كناية عن تكاثر النعام ، والبيت السادس كله كناية عن الخصـــاب الديار ، واعشابها ٠

والبيت السابع كناية عن أن هذه الديار قد أصبحت مغنى الوحش بعد كانت مغنى الانس ٠

والبيت الثامن والتاسع فى كل منهما تشبيه :

---

(١٢١) شرح المعلقات السبع للزوزنى ١٢٧ ٠

فقد شبه السيول التى تكشف عن الأطلال بالكتاب الذى قد تطمس فاعيد على بعضه وترك ما تبين منه ، وبرجع واشمة قد ذرت نئورها فى هالات ، وأظهرت عليها الوشم .

والبيت التاسع أيضا كناية عن مهارة الواشمة ودرايتها بأسرار الوشم ، وأن الشاعر ذو دراية بامر الوشم ، وذو علم بأسراره وجماله.

وفى البيت العاشر «صما» استعارة تصريحية للصخور الصلبة .

وفى البيت الحادى عشر «عريت» استعارة تصريحية تبعية لأنها جاءت بلفظ الفعل ، فقد جعل خلوها من سكانها بمنزله العارى .

والبيت الحادى عشر كناية عن أن أهل هذه الديار ارتحلوا عنها ولم يبق لهم أثر الا النؤى والثمام .

وفى البيت الثانى عشر « فتكنسوا » استعارة تصريحية تبعية استعار « الكنس » الذى واحده كناس وهو شىء يتخذه الظباء تجذب أغصان الشجر فيقع الى الأرض فيصير بينها وبين ساق الشجر مدخل تستظل به فى هذا الكناس » للهوادج التى فى داخلها المراة ، « وتصر خيامها كناية عن ثقل هذه الخيام أوجدتها سرعة الابل فى السير ، وكناية عن أن القوم بهم علامة من علامات النعمة والثراء .

والبيت الثالث عشر كناية عن ثراء القوم وغناهم ، بدليل أن الهوادج قد غطت وسترت بالغالى والثمين من الثياب .

والبيت الرابع عشر فيه تشبيه ، فقد شبه النساء فى الهوادج فى بياضهن ولحظ عيونهن بنعاج توضح ، وظباء وجرة ، وقد انحنت عطفا على أولادها .

وفى البيت الخامس عشر استعارة بالكناية فى « وزايلها السراب »

فقد شبه السراب بانسان يترك أو يتحرك ، وسر جمال الاستعارة بالكناية اظهار المعنوى فى صورة المحسوس أو تشخيصه أو تجسيده ، وفى هذا البيت تشبيه أيضا فقد شبه الظعن حين ينكشف عنها السراب ، وتبدو من خلاله لامعة كأنها أشجار الأثل فى أودية « بيشة » ، وصخورها الصماء .

والبيت السادس عشر كناية عن يأس الشاعر عن رؤية محبوبته ثانية ، وكذلك البيت السابع عشر .

والبيتان الثامن عشر والتاسع عشر كل منهما قائم على التقرير ليس فيهما شىء من الخيال .

والبيت العشرون كناية عن ان يكون المرء عزيز النفس فى علاقته مع الآخرين لا يريق ماء وجهه معهم .

براعة التصوير :

١ ـ برع لبيد فى التصوير الشعرى وقوة الخيال حتى لكأنك تحس بأن آثار ديار محبوبته ماثلة أمامك ، وكأنك تلحظ تتبع خطوات سير النساء فى الهوادج وهن يرحلن ، وتشاهد جمالهن ولحظ عيونهن.

٢ ـ كما برع فى التشبيه القوى الموحى بالغرض الذى يريده ، ولم يجعله مقصورا على التشبيه الشكلى ، وحقا تزداد الصور الخيالية غنى اذا كانت قوية الايحاء غير مقصورة على التفسير الشكلى .

وما أبرع تشبيه السيول وهى تكشف عن الطلول بكتب جددت أقلامها ما عفى منها ، وبهذا فاق لبيد كثيرا من شعراء الجاهلية الذين شبهوا الدمن والأطلال بالكتب تارة ، وبالسطور تارة أخرى ، ولولا تلك الجاذبية الساحرة التى أودعها بيته القائل

وجلا السيول عن الطلول كأنها ... زبر تجد متونها أقلامها

لما سجد الفرزدق حين أنشد هذا البيت اعجابا بالصور الفنيـــة التى تضمنها ، واقرارا بروعة أسراره ، وقد خوطب فى ذلك فقيل لـه ولم يا أبا فراس ، فقال أنتم تعرفون سجدة القرآن ، وأنا أعرف سجدة الشـعر .

ويعجبنى تعليق أحد النقاد على هذا البيت بقوله : « واذا أعجب القدماء بهذا التصوير العجيب فلعل الزمن يزيده قيمة وجمـــالا فيجعلنا نجول بأفكارنا بين طرفى التشبيه ، لنرى مدى معاناة الشاعر فى اختيار مواد وأصباغ الصورة ، السيول تجلو وتكشف عن الأطلال ما عليها من تراب ونحوه ، وكأنها تعلم ما تنطوى عليه تلك الأطلال من أسرار ذات وقع معين فى نفس الشاعر ، بل انها تحكى قصة حياة انسانية عاشـها لبيـد بدفء تلك الديار وأنس أهلها ، لكن الرياح تضافرت مع الأيـــام فى طمس معظم آثار الديار ، فهى بحاجة الى تجديد من أجل اظهـار معالمها ، وابراز أركانها ، فما أحوجها لسيل يجلو عنها ما فعله الزمان بها ، وهنا تتجلى الألمعية اللبيدية فى مد السيل بسيول كلها مجنـدة لأن تجلو عن الطلول غطاءها فيعود ما اندثر من الديار الى الظهور ، ويتجدد ما عفى عليه الزمن ليحكى قصة تلك الحياة ، وكأنه صحائف كتب يقلبها الشاعر بين يديه ، بل انها الكتابة عينها أخذت تتجدد بأقلام عادت اليها شكلها ومضمونها (١٢٢) .

٣ ـ ومن أمثلة التشبيه الرائع الموحى تشبيه النساء وهن جماعات فى هوادجهن بنعاج توضح وظباء وجرة فى حالة كونهن منثنيـات أو متعطفات على أولادهن ، وذلك أدعى لاتساع عيونهن وجمالها .

٤ وانظر أيضا الى خفة التشبيه الـذى يتجلى فى السراب ، والظعن يجتزن أمواجه فيظهرن مثل جذع «بيشه» بما فيها من نبـات وصخور .

---

(١٢٢) شعر لبيد بن ربيعة بين جاهليته واســـلامه : د. زكريـا عبد الرحمن صيام ص ١٥٨ .

خصائص أسلوب الشاعر :

١ ـ الدقة فى اختيار الألفاظ ، وملاءمتها للمعنى الذى يريده .

٢ ـ حذف لفظ يفسره آخر كما فى قوله :

فعلا فروع الأيهقان وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها

ففى البيت حذف تقديره « وأفرخت نعامها » لأن النعام يتكاثر عن طريق التفريخ لا الولادة ، ولبيد يرمى من وراء هذا الحذف الى ترك المجال أمامنا لاعمال الفكرة فى تقدير هذا الحذف الذى له نظائره ، ومعروف أن الحذف ضرب من ضروب البلاغة العربية التى تستلزم مهارة فى الصياغة وبلاغة فى التعبير كما فى قول على بن أبى طالب : «اعلم أن الأشياء ثلاثة : ظاهر ومضمر ، وشىء ليس بظاهر ولا مضمر ، وانما يتفاضل العلماء فى معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر » (١٢٣)

٣ ـ ولوعه بالتعبير بالفعل والدقة فى اختياره كما فى قوله «حفزت» فى البيت :

حفزت وزايلها السراب كأنها أجزاع بيشه أثلها ورضامها

فالفعل يوحى بسرعة الظعن ، ووجود القوة الدافعة لها ، والذى أفاد كل ذلك كلمة «حفزت» بالبناء للمجهول .

٤ ـ التضاد فى المعنى الذى يكسب البيت جمالا ، كما فى حلالها وحرامها فى البيت : « دمن تجرم ... »

وكما فى جودها ورهامها فى البيت :

« رزقت مرابيع النجوم ... » فمن معانى الجود المطر القليل والرهام : المطر الكثير .

---

(١٢٣) المدارس النحوية : د. شوقى ضيف ص ١٤ ط٣ ، دار المعارف بمصر .

٥ - مراعاة النظير كما فى البيت :

فعـــلا فروع الأيهقـان وأطفلت بالجهلتين ظباؤهـا ونعامهـــا

فقد راعى النظير بين الظباء والنعام .

والبيت :

حفزت وزايلهـا السراب كأنهـا أجـزاع بيشـه أثلهـا ورضامهـــا

فقد راعى النظير بين الأثل والرضام .

الموســـيقى :

١ - نلحظ فى الأبيات الموسيقى الداخلية ، وهى ملاءمة الألفاظ والصور للمعنى الذى يريده الشاعر .

٢ - كما نلحظ تقارب الموسيقى بين الكلمات من مثل : محلها ، مقامها ، غولها ، رجامها فى البيت :

غفت الديار محلهـــا فمقامهـا بمنى تأبـــد غولهـا فرجامهـا

ومن مثل أنيسها ، حلالها ، حرامها فى البيت :

ومن تجرم بعد عهـد أنيسهـا حجج خلون حلالهـا وحرامهـا

ومن مثل : أطلائها ، بهامها فى البيت :

والعين ساكنة على أطلائهـــا عوذا تأجـل بالفضاء بهامهـــا

٣ - والموسيقى الخارجية نلحظها فى البحر الكامل للأبيـــات ، وهـــو :

« متفاعلن ، متفاعلن ، متفاعلن » مرتين

٤ ـ وقد اختار لبيد لموسيقاه الكلمات ذات الرنين الموسيقى الذى يتلاءم مع المعنى الذى يريده كما قوله ٠

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبـر تجـد متونهـا أقلامهـا

يقول أحـدذ النقاد تعليقا على هذا البيت :

« واذا أصغينا لأنغام موسيقى البحر الكامل والتى تتجـاوب أصداؤها فى هذا البيت مع جرس حروف الكلمات أحسسنا مدى توفيق الشاعر فى اختيار اللفظ المناسب للمعنى الذى يريده من خلال موسيقى شعرية ممتازة ، فقد اختار الشاعر كلمات مخارج معظم حروفها مقدمة الفم ليكون لها رنين رقيق يتلاءم ورقة الكتابة وشفافية الميـاه لـدى كشف الطلول ، فما عـدا الطاء والقاف ، والهاءات الثلاث المبثوثـة فى البيت نجد الحروف ذات مخارج متقاربة لا تتجاوز طرف اللسان ، ومقدمة الفم ، هذا الى جانب انتقائه حروف اللين الكثيرة فى الكلمات نحو الألف فى «جلا» والواو فى كل من « السيول » و «الطلول» ، والألف أيضا فى كل من «كأنها» و «متونها» و «أقلامها» ، وليس هذا البيت وحيد نسجه فى شعر لبيد ، وانما نجد الكثير من أبياته تنبثق الاشعاعات من خلالها ، وتنبيك عن مدى التصاق الشاعر بصنعتـه الشعرية ، بل تدل على أنه ابن بجدتها وأحق بها » (١٢٤) ٠

غـزل لبيـد :

١ ـ وقف لبيد فى غزله موقف العفة والطهر ، وابتعد عن وصف المتعة الجسدية الذى نلحظه عند امرىء القيس وطرفة وغيرهما ، ممـا يـدل على أن غزله فى شعره مقدمات وبذور للغزل العفيف فيما بعد ذلك٠

---

(١٢٤) شعر لبيد بن ربيعة بين جاهليته واسلامه ، د٠ زكريـا عبد الرحمن صيام ص ١٥٩ ٠

٢ - استهل لبيد معلقته بما استهل به أصحاب المعلقات خاصة وشعراء العصر الجاهلى عامة من تصوير الديار ، وما حل بها ووصف الأطلال والأثافى والنؤى .

موازنة :

نلحظ أن لبيدا فى أبياته التى عرضناها قد برع فى تصوير الآثار كما سبق أن بينا ، كما برع أيضا فى وصف رحلة الظعن فسجل وقائعها بدقة متناهية ، وخير ما يمثله فى هذا الغرض « زهير بن أبى سلمى » ولنتخذ من أبيات كل منهما فى هذا الغرض صورة مقابلة للأخرى ، ونتفحص جزئياتها ، لنرى مدى انطباقهما وافتراقهما فى هذا الصدد.

يقول لبيد (١٢٥) :

شاقتك ظعن الحى حين تحملوا فتكنسوا قطنا تصر خيامها
من كل محفوف يظل عصيه زوج عليه كلة وقرامها
زجلا كأن نعاج توضح فوقها وظباء وجرة عطفا آرامها
حفزت وزايلها السراب كأنها أجزاع بيشة أثلها ورضامها

ويقول زهير بن أبى سلمى : (١٢٦)

نبصر خليلى هل‌ترى منظعائن تحملن بالعلياء من فو قجرثم
علون بأنماط عتاق وكلة وراد حواشيها مشاكهة الدم

---

(١٢٥) شرح الأبيات فارجع اليه .
(١٢٦) شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات ابن النحاس ص ١٠٣ .

ووركن فى السوبان يعلون متنة عليهـــن دل الناعـــم المتنعـم
وفيهن ملهى للصديق ومنظـــر أنيق لعين الناظر المتوســـم

معانى المفـردات :

« ظعائن » ، «تحملن» سبق تفسيرهما فى أبيات لبيد ، «العلياء» بلد «جرثم» مياه لبنى أسد ويقول الشيخ حمد الجاسر « هذا التعريف صحيح فى الأيام التى كانت قبيلة بنى أسد معروفة ، ومعروفة مياهها، أما الآن فقد جهلت فأصبح ذلك الماء بحاجة الى تعريف ، وقد اهتدى الى تحديد موقعه عالم غربى تشيكسلوفاكى هو المستشرق الويس موزل فى كتابه شمال نجد ويعرف الآن باسم الجرثمى » (١٢٧) ، «العتاق» الكرام و «الوراد» الحمر والواحدة «ورد» ، « ومشاكهة » مشابهـــة «وركن» ملن بأوراكهن «ومتنه» أعلاه ، «واللطيف» المتلطف أى الذى ليس معه جفاء ، «والأنيق» ، المعجب ، «والمتوسم» الناظر يتفرس وقيل «المتوسم» الطالب للوسامة وهو الحسن .

معنى الأبيـات :

يلتفت زهير الى صديقه قائلا : تمعن خليلى ، ودقق فى نظراتك هل ترى من نساء مرتجلات فوق هوادجهن ، وقد سرن فى بلد العلياء قريبا من المياه المعروفة «بجرثم» وقد علون متون الجمال بثياب جميلة، واتخذت من الستائر الرقيقة المشابهة فى الدم زينة لهوادجهن ، وقـــد خلفن وادى السوبان من ورائهن ، وارتفعن فوق ظهره ، فى حين أن دلائل النعمة تبدو واضحة عليهن .

وفى أولئك النساء مبعث لهو يسر الصديق ، ويبهجه ، ويتمثـــل فيهن منظر أنيق ، اذا ما نظرت وتمعنت فى جمالهن .

---

(١٢٧) مع الشعراء : مختارات ومطالعات ص ٣٤٠ - دار اليمامـة للبحث والترجمة والنشر - الرياض .

الموازنـــة :

١ - الفكرة العامة واحدة لدى الشاعرين متمثلة فى وصف رحـلة الظعـائن .

٢ - كما انهما يشتركان فى وصف الظعائن بأنهن منعمـات وان اختلفا فى تصوير مظاهر النعمة .

فالهوادج عند زهير حواش ستائرها فى لون الـدم ، وهى عنـد لبيـد مغطاة بالكلة والستائر ذات القطن .

ويفترقان فى أن لبيدا وصف النساء فى موادجهن ببياض لونهن ، ولحظ عيونهن المتمثلتين فى نعاج توضح ، وظباء وجرة المنعطفة على اولادها .

أما زهير فقد اقتصر فى وصف النساء على الجمال الحسى ، وكأنه يتعمد النظرة الذاتية نحوهن .

أما من حيث احكام النظم ، وارتقاء الأسلوب ، وسمو المعنى ، فهما يكادان يسيران فى خطين متوازيين .

فكم من معنى يكمن وراء : تكنسوا ، محفوف - زجلا ، حفزت، زايلها السراب - عند لبيـد .

ومثل ذلك نجده عند زهير : تبصر ، وراء ، دل النـــاعم ، ملهى ، محل محرم .

وقد جعل لبيد موسيقى قصيدته عبر البحر الكامل ، مطلقا حرف الروى ، وضمن الفاظه حرف مدولين ، أضفت عذوبة على موسيقـاه من مثل :

زجلا كأن نعـاج توضح فوقهـــا وظبـــاء وجـرة عطفـــا آرامها

أما زهير فقد اختار موسيقى معلقته من بحـــر الطويل الكثير الانتشار فى تراثنا العربى الأصيل جاعلا روى القافية الميم بالاضـافة الى الأنغام الموسيقية المنبعثة من أنحاء معلقته كقوله :

وفيهن ملهى للصـديق ومنظـر أنيـق لعين النـاظر المتوسـم

وقد روت كلمات فى النصين شبيهة ببعضهـا ففى نص لبيـد «ظعن» ، «كلة» ، «زجلا» ، «آرامها» وفى نص زمير «ظعائن» ، «كلة» .

ونلحظ أن كلا منهما لم يشغل نفسه بمطاردة النسـاء لكشف عوراتهن ، أو يرتمى فى أحضان الفسق والغرام كما فعـل الكثير من الشعراء الجاهليين ، ولم يطلق العنان لنفسه فى هتك الأعـراض ، وانفاق المال فى سبيل الشراب .

ويمتاز لبيد بأنه وصف النساء فى هوادجهن ، ولا نجد ذلك عنـد زهير الذى اقتصر فى وصف النساء على الجمال الحسى ، وكأنه يتعهد النظرة الغرامية نحوهن قائلا :

وفيهن ملهى للصـديق ومنظـر أنيق لعين الناظـر المتوسـم

أهم المراجع التى دارت حول البحث

١ ـ الشعر والشعراء ، أو طبقات الشعراء : لأبى محمد بن مسلم ابن قتيبة الدنيورى ، تحقيق : د ٠ مفيد قميحة ، ونعيم زرزور ـ ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م ـ دار الكتب العلمية بيروت ٠

٢ ـ كتاب الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى جـ١٤ ، بيروت لبنان٠

٣ ـ ديوان لبيد بن ربيعة العامرى ، دار صادر بيروت ٠

٤ ـ شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلقات ابن النحاس ـ دار الكتب العلمية بيروت ٠

٥ ـ شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبى بكر محمد بن القاسم الأنبارى ، تحقيق عبد السلام هارون ط٣ ، دار المعارف بمصر٠

٦ ـ شرح القصائد العشر للتبريزى ، تعليق عبد السلام الحوفى ، دار الكتب العلمية بيروت ٠

٧ ـ شرح المعلقات السبع للزوزنى ، دار الجيل بيروت ٠

٨ ـ شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائهـــا : أحمد بن الأمين الشنقيطى ـ دار الكتاب العربى ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م ٠ تقديم د٠ فايز ترحيبى ٠

٩ ـ حديث الأربعاء د٠ طه حسين جـ١ ط ١٣ ـ دار المعارف ٠

١٠ ـ العصر الاسلامى : د٠ شوقى ضيف ط ٦ ، دار المعارف بمصر٠

١١ ـ المدارس النحوية : د٠ شوقى ضيف ط ٣ ـ دار المعارف بمصر٠

١٢ ـ مع الشعراء : مختارات ومطالعـــات حمد الجاسر ـ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض ٠

١٣ ـ لبيد بن ربيعة بين جاهليته واسلامه د٠ زكريا عبد الرحمن صيام مطابع دار الشعب ـ ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ٠